والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

اقد قيل . رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ووقف عند حدّه . فنحن الان قد آن لنا ان نعمل بوصية هذا الحكيم ايكون نصيبنا من بني الانسان نصيب الاحياء التي تأخذ بقدر ما تعطي وتنال بقدر ما تهب . فالمرأة ولا فخر . هي رونق الحياة وبهجتها . بل هي شعر الوجود وبورة كل جمال وكمال فيه . فكما ان نفسنا تعلو وتسبح هائمة في طبقات اللانهائية وتصعد في سماء الخيال والحقيقة عند ما تنشد قصيدة من قصائد المري او المتنبي او ابي تمام الطائي هكذا يكون مجموع شعورنا واحساساتنا عند مجالستنا ومكالمتنا امرأة سامية العقل متهذبة الاخلاق لتجد املاءاتها النسائية وكمالاتها النفسانية قائداً لها . فهي تحمل جليسها على الافتكار بكل ما هو سام عظيم وتوجه تصوراته نحو كل مستحسن نبيل وهاك مما قاله كثير الشاعر الشهير « بعزة » ممدوحة الشعراء

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العقاب سجودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خرّوا لعزة ركعاً وسجودا

وهي مع ذلك قوة فعالة في الوجود . فلولا حنانها وانكارها نفسها ونسيانها مسراتها الذاتية . ما بقي على وجه البسيطة نافخ نار . هذا امر مقرر لا يحتاج الى برهان . هذا قدر المرأة وهذا تعريفها . وما هضمت حقوقها واهملت ضمن جدران المنازل كمتاع يباع ويشرى الا لانها استسلمت لعواطفها وانقادت لضعفها الذي رمتها فيه امها الطبيعة القاسية تلك التي جعلت في تذبيحها ينابيع الحياة وفي احشائها مصنع الانسانية

فكيف يمكني يا ترى ان اترك ولدي الرضيع يمزق احشاءه الجوع ويفني جثمانه اللطيف البرد واذهب برفقة زوجي كل مساء اصرف في الحانات والقهوات وحفلات الملاهي اوقاتي ومالي . زوجي ربما يفعل ذلك بسرور ولذة لانه لا يجد نفسه مسؤولاً لدي ولدى عيلته ولو بلغت عشرة اولاد عدا الا بتأدية النفقة . اما انا فيضطرب جناني ويخفق قلبي ويبكتني ضميري واعدّ نفسي سارقة كل دقيقة من حياتي لا اقضيها في نفع بني ادبياً ومادياً . انا اصرف في سبيل عائلتي نشاطي وذكائي . واهب لها قلبي وروحي . وزوجي يدفع لي دراهمه . اما ذكاؤه ونشاطه وكل قواه العاقلة انما يصرفها في مطامعه التي لا تحد سعياً وراء السؤدد والسلطة . انا اذا وجدت من زوجي ظلماً او اهمالاً رفعت بناظري الى السماء . وتعزيت بقولي . هذا نصيبي . هذه قسمتي . هذا بختي . كلا . ايتها الاخوات قد آن لنا ان ننبذ هذه العبارات ظهرياً ونتذرع ببلة الشاعر . اني انفسنا هذا الظلم وذياك الاهمال . نتذرع بمهنة نتقنها

وحرفة تدفع عنا معاملة ازواجنا لنا معاملة السيد للعبد والقاضي الذي لا يقبل حكمه الاعتراض . فتجيء من شركة زوجية انما تعقد على حد قول الشاعر

منك الدقيق ومني النار اضرمها والماء مني ومنك السمن والعسل

اعلمن ايتها العزيزات ان الزواج لا يجب ان يكون الحجة التي يجب ان تشد اليها الرحال وتجه نحوها العزائم . لا يجب ان يكون الدعوة التي يجب ان تهيأ لها الفتاة نفسها فتقضي اوقاتها وتصرف ذكاءها بالبحث عما يزيد وجهها اشراقاً ومحاسنها نضارة ورونقاً فتجعل من اعلانات البرتقان والبون مارشه والسلفارتن كتباً تدرس منها اسماء الازياء والالوان . والحلى والحلل . مهلاً ايتها الفتاة . انت يا من جعلت نفسها اشبه بآلة موسيقية لا تهتز اوتارها الا متى فتحت سيرة الازياء . حولي انظارك الى ما هو اسمى من من زكي يزول . انا لا اكتمك ان ما في كابك . لان الميل لاتخاذ الحبر ومعاونة الطبيعة باضافة بعض المحاسن المكتسبة من الفنون والذوق الحسن امر غريزي في الانسان . ذكراً كان ام انثى . لا يجحده الا كل متقشف متصوف او محجوز . لكن جعل الازياء شغلنا الشاغل وعملنا الوحيد امر مكروه فيه كل حطة وضعة . خصوصاً اذا كان القصد منه البحث عن الزوج . كأنما في اكتساء بل الماء وعثانها . والفردوس نعيمه . فتجعلها الفتاة محط امانيها ومحور اعمالها . وتقتصر على التصورات الغرامية او الخيالية وتترك كل حقيقة غير امانيها مرء السحاب دون ان تكتسب منها عبرة او تربح انفسها درساً نافعاً . حتى متى تزوجت ورأت البون الشاسع بين تصوراتها السالفة والحقيقة التي وقعت فيها غلب عليها اليأس واستسلمت للقنوط واهملت نفسها . كأنها لم تكن الامس تلك الغانية التي كانت تجتذب القلوب وتبتها ويسترق الاسماع منطقها العذب وصوتها الرخيم

ايا كن ان تعلقن كل امالكن على الزوج وتبكين عليه في حمل شقاء الوجود عكن . لان الحياة ليست حياة سرور ولذة فقط . بل حياة واجب وعمل . فالسعيد السعيد الذي قام بواجباته لنفسه ولذويه ومواطنيه بطيبة خاطر وراحة بال . والشقي الشقي من اعتمد على غيره واسند سعادته اليه ولو كان اغنى من قارون واحكم من اياس

نأكن ان الانسان لم يخلق فرداً وان الجنسين وحدا ليتحدا وينشئا العائلة ويتعاونا في سراء الحياة وضرائها لا ليعيشا منفردين . نأكن ان الزوج لا بد ان يأتي يوماً دون بحث ولا هناء . فيا حبذا لو تصرف الفتاة الشرقية الحديثة وقتها منذ تخرج من المدرسة الى حين زواجها بالفان مهنة كما تفعل شقيقتها الاوروبية فتنال بعض السعة في داخليتها

وتكفي نفسها ظلم زوجها ... حتى متى رات منه اهمالاً واستبداداً اولو جارت عليها الايام وسرقتها من حنوه ومحبته عادت الى حرفتها واتقذت بنيها من مخالب الفقر وعبوديته المهلكة. اجل ايتها الاخوات . هلمن معي لنجول جولة بين منازل الاوربيين الفاطنين بين ظهرانينا نجد عائلة اخنى عليها الدهر ونزلت بها المصائب والمحن فترى المراة فيها قد ونبت وثبة الاسد فاخذت تدرس البيانو ان كانت موسيقية . اوتدخل كاتبة او حاسبة في احدى المحلات التجارية . او تفتح لنفسها تجارة ان كانت ذات راس مال فتبيع وتشتري وتعقد العقود وتؤلف الشركات كالرجل وهي مع ذلك تجد اولادها كل غاية من العز والرجاء اذ تقوم بواجباتها لكل فرد منهم فتضعهم في المدارس وتنفق عليهم بحسب الوسائط التي اعطيت لها . و بذلك تكاد الغربية لا تشعر بما حل بها من الفواجع بل تظل سائرة من حسن الى احسن . حتى متى اشتد ساعد كل فرد منهم وصاروا رجالا ونساء كانوا اعضاء عاملة في الوجود يعتبر فيهم . اكفيكن شرح ما يحل من الخراب والدمار وسقوط الغربية فيما لو زالت تلك الدائرة بيت شرقي فهذا امر طالما اصالت عبراتنا رويته واداب قلوبنا سماعه

اما اذا قدر لاحدكن ان يمر في هذه الحياة دون زوج تستند الى ذراعه فليكن لها من الطبيعة التي قضت سني شبابها وزهرة صباها في درس نواميسها وادراك اسرارها ومكنوناتها اكبر صديق وخليل . تسامرها كواكبها ونجومها . وتخاطبها اشجارها ونباتها . وتشغل تصوراتها معادنها واتربتها . فكتابها ابداً مفتوح لديها . وذراعاها ابداً ممدودتان لاستقبالها ثم لتخصص نفسها لاتقان فن تجد بالاجادة فيه تعزية وسلوى . وتترك بعدها اثاراً تنطق ببراعتها ومهارتها وتحفظ لها ذكراً حميداً تكرره الالسنة المقبلة . والاجيال العتيدة . فكما ان الزواج يكرم لانه يهيء المتزوجين السبل لاظهار القوة المبدعة المركوزة فيهم فليدون القسل احياء لذكرهم هكذا تتكفل الفنون والاعمال بحفظ ذكر كل انسة تتقنها وتتفوق فيها . واني متيقنة ان ذكر عزيزتنا المرحومة مس افرت لن يمحى من افئدة تلميذاتها ابد الدهر . وهكذا قل في عزيزتنا مس طمسن امد الله ايامها ووهبها هناء الدارين وسعادتها

اراني قد اطلت عليكن الكلام فاختمه ببعض عبارات كنت أودّ التوسع فيها لولا خشية الملل

تعلمن ايتها العزيزات أنكن سوريات عربيات وان معرفتكن اللغة الانكليزية او الافرنسية لا تصيركن انكليزيات او افرنسيات ومهما حاولت الواحدة منكن اخفاء جنسيتها